مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثاني والثلاثون/ محرم - ربيع الأول ١٤٣١هـ . يناير - مارس ٢٠١٠م

٣٢

- النواب والأمراء والعمال في العهد النبوي
- رعاية الله التربوية والعلمية للنبي ﷺ
- وثيقتان عثمانيتان عن المدينة المنورة
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة

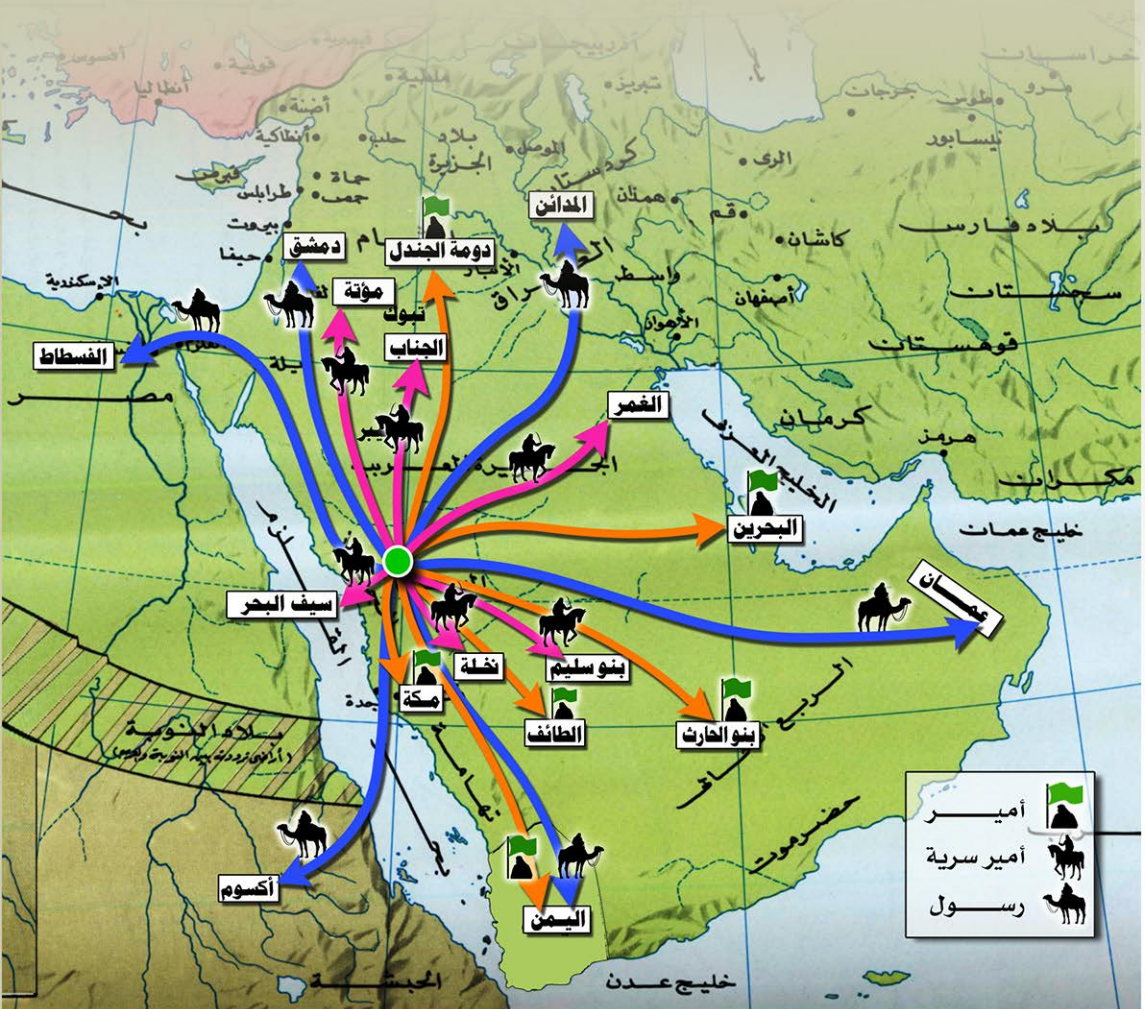

رعاية الله التربوية والعلمية لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم

القسم الأول

د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ المشارك بقسم التفسير
كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية

المقدمـــة إن الحمـــد لله نحمـــده ونـــستعينه، ونـــستغفره ونـستهديه، ونتـوب إليـه، ونعـوذ بـالله مـن شـرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمّة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين..وبعد:

فطلب العلم مهمّةٌ عظيمة، ذاتُ أبعادٍ كثيرةٍ، مكانية وزمانية، باعتباره ركناً أساسياً في تكوين المجتمع الإسلامي، وتنشئة أجياله، والحفاظ على هويّتهم.

وهذا لا يتحقق إلا بعد أن نعتمد المنهج القرآني والنبويّ في العلم والتعلُّم والتعليم فنتبناه ونطبقه، ونساعد على نشره بين الناس.

ولقد كان لرسول الله ﷺ عناية خاصة من الله تعالى، كيف لا

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهو النبي الخاتم، الذي لا نبي بعده، وأنواع التربية والعناية والتأهيل التي حظي بها النبي ﷺ من ربه كثيرة جداً .

لقد وجّه الله تعالى نبيه بتوجيهات تمثّل القاعدة التي يرتكز عليها المسلم في حياته – عموماً- والداعية إلى الله في دعوته- خصوصاً- لكي تتم حياته على أكمل وجه، وتقوم على منهاجها الواضح الصافي، وتظهر الفائدة منها، ويتم تحقيقها على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث محاولة لبيان منهج الإسلام في العناية بطلاب العلم، من خلال عرض رعاية الله تعالى لنبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم.

الرعاية التربوية من الله تعالى لخاتم الأنبياء

من أهم الأمور التي يرتكز عليها منهج الرعاية: تربية طلاب العلم؛ وهو الجانب التربوي الذي يُبْنَى عليه عبادة المرء لربه، وهذه التربية سنة ربانية رعى الله بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وحظي خاتمهم محمد ﷺ منها بعناية كبيرة، ظهرت تلك في توجيهات الله تعالى له، وفي مواقفه وسلوكه ﷺ.

ويبرز ذلك الجانب من الرعاية التربوية للنبي ﷺ من خلال المباحث التالية:

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرعاية التربوية في جانب العقيدة

ويتجلى ذلك في أمور أهمّها:

١- إعلان الانفصال التامّ بين الكفر والإسلام:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ كان المشركون قد عرضوا على الرسول ﷺ أن يعبدوا الله سَنَةً، على أن يعبد نبيّ الله ﷺ آلهتهم سَنَةً، فأنزل الله هذه السورة.

رُويَ أن الوليد بن المُغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأميَّة بن خلف، لقوا رسول الله، فقالوا: يا محمد، هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبدْ ما نعبد، ونُشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شَرَكناك فيه، وأخذنا بحظنا منه؛ وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك، كنت قد شَركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[1].

"فالخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله ﷺ من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبداً، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعضهم كافراً "[2].

---

(١) جامع البيان ٢٤/٧٠٤، الدر المنثور١٥/ ٧١٢.

(٢) جامع البيان٢٤/٧٠٤ مختصراً وبتصرف.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢- عدم الرضا بالكفر ولو مرة على حساب الدين:

قال تعالى: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ ﴾ "أي: تبرأ يا محمد مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرًا وباطنًا"[(١)].

فعبادتكم غير عبادتي، ومعبودكم غير معبودي؛ لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم يدل على اللزوم والثبات، فنفى حدوث ذلك أولاً، ودلّ على لزوم ذلك النفي وثباته ثانياً. فليس هنا تكرار إنما هو لغرض لا يفيده الأول، فقوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ ﴾ "توكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية، وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها. وفيه رمز إلى تنزهه ﷺ من عبادة الأصنام من سالف الزمان وإلا لقال: ولا أنا عابد ما كُنا نعبد"[(٢)].

٣- العبادة المقترنة بالشرك ليست عبادة:

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ ﴾ "لعدم إخلاصكم في عبادته، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة"[(٣)].

أي: "لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٥٨٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرسول ﷺ. والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله"[١].

٤- التمييز في العقيدة لا التمييع:

قال تعالى في ختام سورة الكافرون: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[يونس: ٤١]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[القصص ٥٥].

يربي الله تعالى نبيه ﷺ على أن "التوحيد منهج، والشرك منهج آخر ولا يلتقيان، التوحيد منهج يتجه بالإنسان كله إلى الله وحده لا شريك له، ويحدد المنهج الذي يتلقى منه الإنسان عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، هذا المنهج هو التلقي عن الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس، غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.إن السبيل الوحيد هو الخروج عن الكفر بجملته إلى الإسلام بجملته.

٥- النهي عن اتّباع الكفار والمنافقين والبراءة منهم والإعراض عنهم وعدم طاعتهم:

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يتبرأ من الكفار والمنافقين بطرق:

منها: **البراءة من أعمال الكفار والمنافقين**: قال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس٤١].

ومنها: **النهي عن طاعة الكفار والمنافقين**: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٠٨/٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أي"لا تسمع منهم ولا تستشرهم، فالله ﷻ أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله"[(١)].

ومنها: **النهي عن طاعة الكافرين بل وجهادهم بالقرآن:** قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥].

ومنها: **النهي عن طاعة الغافلين عن الله المتبعين لهواهم:** قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

ومنها: **الإعراض عن المشركين:** قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩] **وغيرها من الآيات التي تنوّع فيها الخطاب** وفيها ينهى الله ﷻ عبده ورسوله محمداً ﷺ عن طاعة أهل الهوى والشك من الكافرين والمنافقين.

٦- الإقبال على الآخرة:

قال تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: "الدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها اطّراحًا، كما هو معلوم من سيرته. ولما خُيِّرَ عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنيّة[(٢)]"[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] قال ابن كثير: "أي: إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادّك إليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٧٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة(٣٩٠٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ٢٣٨٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك"[١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾ موعظة وتعليم للنبي ﷺ وتثبيت له، أي: لا يحزنك طغيان الطاغي فإن مرجعه إليّ"[٢]. فبذلك يربط الله تعالى قلب نبيه بالآخرة في عقاب من يتآمرون على الدعوة إلى الله تعالى.

٧- الرضا والإيمان بقضاء الله وقدره والتسليم له:

وذلك ببيان أنه لن يمسه خير أو شر إلا بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

ولذلك نجد رسول الله ﷺ يعترف بذلك بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. أي: "فإني فقير مدبّر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني"[٣].

٨- نهي الله لنبيه ﷺ عن الإشراك به:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٥ ـ ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

"يجوز أن يكون الخطاب موجّهاً إلى النبي ﷺ؛ لأنه المبلّغ عن الله تعالى، فللاهتمام بهذا النهي وقع توجيهه إلى النبي ﷺ مع تحقق أنه منتهٍ عن ذلك، فتعين أن يكون النهي للذين هم متلبسون

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٥.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٤٤٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣١١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالإشراك"[١]، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٩- أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتوحيد الخالص الكامل:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفرداً له الطاعة، دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد"[٢].

وقال ابن كثير: "أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له"[٣].

وقال أبو حيان: "أمره تعالى أن يصدع الكفار بما أُمِرَ به من عبادة الله، يخلصها من الشوائب"[٤].

"وهذا الإعلان من النبي ﷺ بأنه مأمور أن يعبد الله وحده، ويخلص له الدين وحده ذو قيمة كبرى في تجريد عقيدة التوحيد كما جاء بها الإسلام. وعند ذلك يقرّ معنى الألوهية ومعنى العبودية، ويتميزان فلا يختلطان ولا يشتبهان، وتتجرد صفة الوحداينة لله سبحانه بلا شريك ولا شبيه. وحين يقف محمد رسول الله ﷺ في مقام العبودية لله وحده يعلن هذا الإعلان، ويخاف هذا الخوف من العصيان، فليس هنالك مجال لدعوى شفاعة الأصنام أو الملائكة

(١) التحرير والتنوير ١٩/٢٠٤.

(٢) جامع البيان٢١/٢٧٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/٨٩.

(٤) البحر المحيط ٧/٤١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعبادتهم من دون الله أو مع الله بحال من الأحوال"[١].

١٠- عدم الاستغفار للمشركين:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

عن ابن المسيب قال: "لما حَضَرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال: (أيْ عَمّ، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاجّ لك بها عند الله ﷻ). فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبدالمطلب. فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك)، فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾"[٢].

"يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين. وأيضاً فإن النبيﷺ والذين آمنوا معه عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه اللّه، ويعادوا من عاداه

---

(١) في ظلال القرآن٥/ ٣٠٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة القصص (٤٧٧٢)؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع برقم (٢٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اللّه، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له"[١].

١١- التربية على أن المشيئة لله وحده:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. قال ابن كثير:"هذا إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله ﷻ علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون"[٢].

١٢- عصمة النبي ﷺ من الركون للكفار:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥]. "يذكر الله تعالى مِنَّته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ ﴾ أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك فتجيء بما يوافق أهواءهم وتدع ما أنزل الله إليك"[٣].

"ويخبر تعالى عن تأييد رسوله ﷺ وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليّه وحافظه وناصره ومؤيده،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٥٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناواه في مشارق الأرض ومغاربها"[١].

١٣- عصمة النبي ﷺ من أعمال الكفار:

ويبرز ذلك في حادثة شق صدر النبي ﷺ: فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه- أي: جمع بعضه إلى بعض- ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[٢].

"فلا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلّت أحداث صباه على تحقّق ذلك، فلم يرتكب إثماً، ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش"[٣].

١٤- الاتباع وعدم الابتداع:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود: ١١٢].

"أمر الله نبيه محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/١٠٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (١٦٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/١٠٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة"[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢]. ففي قوله: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾: "بيان من أين يأتي التوجيه، وأن الوحي من عند الله هو المصدر الحقيق بالاتّباع"[(٢)].

١٥- التسليم لأمر الله في جميع الأحوال وعدم الخوف من غير الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٧ – ٣٩].

لمّا كانت عادة التبني مسلمةً عند العرب وغيرهم وأراد الله إبطالها هيّأ الأسباب؛ ليكون المعلم الأول ﷺ هو قدوتهم بنفسه في ذلك الأمر.

فأراد الله ﷻ أن يبطل هذا الحكم فأوحى الله تعالى إلى نبيه بذلك، وقد حصلت مشاكل بين زيد وزوجته زينب رضي الله عنهما فطلقها زيد، فتزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله بعد انقضاء عدتها، وكان هذا الزواج تشريعاً للأمة الإسلامية.

فالسبب في تزوّج النبي ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ما قاله الله تعالى: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٠.

(٢) في ظلال القرآن ٢٨٢٢/٥-٢٨٢٣ بتصرف.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾.

وفيه ردٌّ على هؤلاء الكافرين والمنافقين الذين يريدون أن يشككوا ويعكروا صفو الماء؛ ليلبسوا الحق بالباطل فقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ " أي ما كان على النبي من إثم وذنب فيما قدّر الله عليه من الزوجات، فإن هذا قد أباحه الله له كما أباحه للأنبياء قبله"(١).

ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ " هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا ردّ على من توهّم من المنافقين نقصاً في تزوجه امرأة زيد مولاه ودعيّه الذي كان قد تبنّاه"(٢).

تربية النبي ﷺ على الارتقاء في شعب الإيمان

لقد ظهرت عناية الله تعالى بإصلاح حال النبي ﷺ من الناحية الإيمانية السلوكية، وذلك بالارتقاء به في شعب الإيمان، وبإبعاد قلبه عن كل ما ينتابه من ضعف أو عجب أو غرور، ألا ترى أنه ﷺ مع هذا الجهاد العظيم والنصر المبين يؤمر بالصبر وحسن التوكل والمراقبة والتقوى. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[الأحزاب: ١-٣].

إن هذه التوجيهات هدفها أن ينفرد القلب لخالقه، ويردّ الفضل لصاحبه، فلا يتأثر القلب إلاّ بالله وأمر الله، وبهذا يسلم العمل ويحصل الفوز والنجاح.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن خلال هذا المبحث نلقي الضوء على بعض معالم ذلك المنهج الإصلاحي الذي رعى الله به نبيه ﷺ، وذلك في المطالب التالية:

تربية النبي ﷺ على الصبر

ويبرز ذلك في مواضع كثيرة متعددة الصور، من أهمّها:

١- الصبر على الاستهزاء به:

لقد ربى الله تعالى نبيه ﷺ على الصبر، وهذه التربية كانت مصحوبة بالتأكيد على وعد الله النافذ، وعدم الركون إلى تثبيط الكفار، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

قال أبو جعفر: أي: "فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلِّغهم رسالة ربك، ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبّطونك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته"[(١)].

٢- أمر الله تعالى نبيه ﷺ بما يساعده على الصبر على تلك الأذيّة:

فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠]. "أمر الله رسوله بالصبر على أذيّتهم بالقول، وأمره أن يستعين على ذلك بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أول النهار وآخره، وأوقات الليل وساعاته"[(٢)]؛ لأن "ذكر

(١) جامع البيان ٢٠/١٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله تعالى مسلٍّ للنفس مؤنس لها، مهوّن للصبر"[(١)].

وبيّن الله تعالى لنبيه ﷺ مظاهر الصبر على أذيّة الكفار فقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل: ١٠].

قال ابن كثير: "يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلاً لا عتاب معه"[(٢)].

٣- الصبر على طول طريق الدعوة:

قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

"يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: هذه القصة وأشباهها ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ ﴾ أي: نعلمك بها وحياً منا إليك، ﴿ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ ﴾ أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ ﴾ على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك، فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بإخوانك المرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم"[(٣)].

٤- الصبر على حكم الله وقضائه:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨].

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ يا محمد

(١) المصدر السابق ص ٨٠٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم٨/٢٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم٤/٣٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلّغ رسالاته ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فإنك بمرأى منا، نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين"[(١)].

٥- الصبر على درجات الإحسان:

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود: ١١٥].

"أي: احبس نفسك على طاعة الله وعن معصيته. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم ﴿ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وفي هذا ترغيب عظيم للزوم الصبر بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله كلما وَنَت وفَتَرت"[(٢)].

٦- الاقتداء بالأنبياء السابقين في الصبر:

قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

"يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته ولم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدّة. وأولو العزم من الرسل: الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بالمحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدّاً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - ومن أشبههم"[(٣)].

٧- الاستعانة بالله على الصبر:

"أمر الله رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله، والاستعانة بالله

---

(١) جامع البيان٢٢/٤٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٩١.

(٣) جامع البيان٢٢/١٤٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على ذلك، وعدم الاتكال على النفس فقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل: ١٢٧] أي: هو الذي يعينك عليه ويثبتك"[١].

ففي الآية "تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته"[٢].

٨- الصبر على عبادة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

قال ابن جرير: أي: "واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه؟ كلا، ما ذلك بموجود"[٣].

٩- الصبر على الصحبة الصالحة:

قال تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [الكهف:٢٨].

لا تَمَلُّ ولا تستعجل من ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ فالله غايتهم، يتجهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحولون عنه ولا يبتغون إلا رضاه. وما يبتغونه أجلّ وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة.

اصبر نفسك مع هؤلاء، صاحبهم وجالسهم وعلِّمهم، ففيهم الخير،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٥٢ بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العظيم٤/٦١٥.

(٣) جامع البيان١٨/٢٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعلى مثلهم تقوم الدعوات. تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة، فهذه ﴿ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾"[1].

تربية النبي ﷺ على حسن التوكل

إن كل إنسان يحتاج إلى التوكل على الله في جميع أموره، وخصوصاً الداعي إلى الله تعالى، فهو في حاجة للتوكل على الله في رزقه وفي دعوته، وفي المشكلات التي تواجهه، وفي الاستكبار والعناد الذي يواجهه، وفي تطبيق منهج الله في نفسه أولاً ثم في واقعه.

ولذلك نجد أن من الأمور التي برزت في عناية الله تعالى بنبيه ﷺ أن ربّاه على حسن التوكل عليه، ويبرز هذا الجانب في النقاط التالية:

١- التوجيه العام من الله لنبيه ﷺ بالتوكل على الله:

يقول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ٥٨]. أي: "وتوكّل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوّض إليه واستسلم له"[2].

"والتوكل: الاعتماد وإسلام الأمور إلى المتوكل عليه وهو ﴿ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾. وعدل عن اسم الجلالة إلى هذين الوصفين؛ لما يؤذن به

(١) في ظلال القرآن ٢٢٦٨/٤.

(٢) جامع البيان ٢٨٦/١٩.

من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم، فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ للكامل، أي: الكامل حياته؛ لأنها واجبة باقية مستمرة، وحياة غيره معرضة للزوال بالموت ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض للاختلال وللانخرام"[(١)].

٢- التوكل على الله في كل أمر يعزم عليه:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

"أي: فإذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فاجعلْ تفويضك فيه إلى الله تعالى، فإنه العالم بالأصلح لك والأرشد لأمرك"[(٢)].

٣- حث الله تعالى نبيه ﷺ على التوكل ببيان حب الله للمتوكلين:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران ١٥٩].

وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه"[(٣)]؛ "لأن التوكل علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاده الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه، وهذا أدب عظيم مع الخالق يدلّ على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله"[(٤)].

وقال أبو حيان: "حَثَّ على التوكل على الله؛ إذ أخبر أنّه يحب من

---

(١) التحرير والتنوير١٩/٨٠.

(٢) البحر المحيط٣/٨٠.

(٣) جامع البيان٧/٣٤٦.

(٤) التحرير والتنوير٣/٢٧١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

توكّل عليه، والمرءُ ساعٍ فيما يحصل له محبة الله تعالى"[١].

٤- بيان أن الله تعالى كفى به وكيلاً:

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١]. أي: "كفى به وليّاً وناصراً ومعيناً لمن توّكل عليه وأناب إليه"[٢]. تُوْكَلُ إليه الأمور فيقوم بها وبما هو أصلح للعبد؛ وذلك لعلمه بمصالح عبده من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه من حيث لا يقدر عليها العبد، وإنه أرحم بعبده من نفسه ومن والديه، وأرأف به من كل أحد.

٥- التوكل على الله في الحرب:

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[سورة الأنفال: ٦١].

قال الشيخ الجزائري: "الله تعالى يأمر رسوله -وهو قائد الجهاد يومئذ -بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها؛ لأنه ﷺ رسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكل على الله في ذلك؛ أي: يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه، فإنه تعالى يكفيه شرّ أعدائه؛ لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم وأحوالهم، لا يخفى عليه من أمرهم شيء، فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أرادوا خداعه بطلب السلم والمسالمة"[٣].

٦- التوكل على الله في العبادة:

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]."أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه،

---

(١) البحر المحيط٣/٨١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم٢/٢٦٤.

(٣) أيسر التفاسير ٢/٣٢٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتوكل على الله في ذلك"[١].

٧- بيان الله لنبيه ﷺ عزة ورحمة المُتَوَكل عليه:

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. "أي: فوض أمرك إليه فإنه﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الذي لا يغالب، ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الذي لا يخذل أولياءه"[٢].

و"علق التوكل بالاسمين ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وما تبعهما من الوصف الموصول؛ إشارة إلى أنه بعزته قادر على تَغَلُّبه على عدوه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمه منهم"[٣].

٨- الاستدلال بوحدانية الله على الأمر بالتوكل:

قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل:٩]. قال الرازي: "لما ثبت أنه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لزمك أن تتخذه وكيلاً وأن تفوض كل أمورك إليه.

وهنا مقام عظيم؛ فإنه لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه، دلّ هذا على أن من لا يفوّض كل الأمور إليه فإنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو"[٤].

والمعنى:"﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ أي: حافظاً ومدبّراً لأمورك كلها"[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٤٤.

(٣) التحرير والتنوير ١٩/٢٠٧.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/١٩٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٩- تثبيت الله نبيه على الحق بأمره بالتوكل:

قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]. "أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء.﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الواضح الذي لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت وتوكلت على الله في ذلك فلا يضرك ضلال من ضلّ وليس عليك هداهم"(١).

تربية النبي ﷺ على المراقبة والتقوى

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].فقوله: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ "يدلّ: على الاعتناء به ﷺ"(٢). "أي: هو معتن بك"(٣). "يشعر بذلك قلب الرسول ﷺ بالأنس والقربى، فربّه يراه في قيامه للصلاة وحده، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة، يرى حركاته وسكناته، ويسمع خطراته ودعواته: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.وفي التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والملاحظة والعناية. وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه وفي جواره وقربه. وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش"(٤).

كما يحث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ على التقوى فيقول له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١] "ناداه جلّ وعلا بوصفه ﷺ دون

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٠٦.

(٢) أضواء البيان٦/١٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/١٧١.

(٤) في ظلال القرآن ٦/٣٧٤٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اسمه؛ تعظيماً له وتفخيماً"[١]، واقتران الأمر بالتقوى بوصف النبوة دليل على أن الأمر جزء من ذلك الوصف وملازم له، فالتقوى من النبوة التي أرسل بها ﷺ وكُلِّف ببلاغها للناس، وليست مجرد وصف شخصي له ﷺ، ولا شك أنه أول المؤمنين المخاطبين بذلك؛ ولذا كان رسول الله ﷺ خير قدوة في هذا الباب، كما قال ﷺ: (أما إني أتقاكم لله وأخشاكم له)[٢].

تربية النبي ﷺ على شكر النعمة

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ – ٣].

المراد بالنصر: نصر الرسول ﷺ على قريش[٣]، و**المراد بالفتح:** "فتح مكة"[٤].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: هو الخير الكثير والفضل الغزير، ومن جملته النهر الذي يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة يقال له: ﴿الْكَوْثَرَ﴾"[٥].

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيتُ الكوثر، فإذا هو

(١) روح المعاني ١٤٣/٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من تحرك شهوته (١١٠٨)

(٣) جامع البيان ٧٠٥/٢٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥١١/٨، وجامع البيان ٧٠٥/٢٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نهر يجري، ولم يُشقّ شقّاً، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته فإذا مسكه ذَفَرة، وإذا حصاه اللؤلؤ)[١].

ولقد علّم الله نبيه ﷺ بهذه الآيات أن يقوم ببعض العبادات شكراً للنعم التي حصل عليها أو بُشِّر بها، ومنها:

التسبيح والحمدلة:

﴿فسبح بحمد ربك﴾ "فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه، حامداً له جلّ وعلا زيادة في عبادته والثناء عليه سبحانه؛ لزيادة إنعامه سبحانه عليك، فالتسبيح: التنزيه المقتضي للتلفظ بكلمة سبحان الله، والتحميد هو: إثبات ما يليق به تعالى من المحامد له؛ لعظم ما أنعم سبحانه به عليه، وتوقيت الأمور من عنده ليس إلا لحكمة لا يعرفها إلا هو ﷻ"[٢].

الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ وفي أمره بهذا الاستغفار بعد النصر فوائد منها: "أن يكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه؛ لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر"[٣].

العبودية لله بالصلاة والذبح لله:

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ أي: "كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدمت صفته فأخلص لربك في صلاتك المكتوبة والنافلة، ونَحْرك"[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ١٥٢/٣(١٢٥٢٦)، قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وأبو يعلى ٢٣٦/٦(٣٥٢٩)، وقال محمد بن سليم: إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٣).

(٢) روح المعاني ٣٢٩/٣٠ بتصرف.

(٣) النكت والعيون٣٦١/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥٠٣/٨ باختصار.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

و"خص هاتين العبادتين بالذكر؛لأنهما من أفضل العبادات وأَجَلّ القربات، فالصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقّلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرّب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته"[(١)].

ولذلك نجد النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذبك؟ فيقول لها صلوات الله وسلامه عليه: (أفلا أكون عبداً شكوراً).

التحدث بنعم الله:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ "أي: أثن على الله بها، وخصّصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلاَّ فحدّث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدّث بنعمة الله داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن"[(٢)].

قال ابن القيم: "وفي هذا التحديث المأمور به قولان؛ أحدهما: أنه ذكر النعمة والإخبار بها وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا. قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتيم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة.

والتحدث بنعمة الله شكر كما في حديث جابر ﷺ مرفوعاً: (من صُنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره)"[(٣)][(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٩.

(٣) صحيح الأدب المفرد، باب من صنع إليه معروف فليكافئه (٢١٥).

(٤) مدارج السالكين٢/٢٤٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تربية النبي ﷺ على الإقبال على الله

وتبرز في النقاط التالية:

١- تربيته على الانقطاع لله في العبادة:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل: ٨]. "أي: "انقطع إلى الله تعالى؛ فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه ويدني من رضاه"[(١)].

٢- الأمر العام بالعبادة:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]. "أي الجأ إليه"[(٢)] و"قم بعبادته، وهي: جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه"[(٣)].

٣- العبادة حتى الموت:

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٤ – ٩٩]. "أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على العبادة إلى أن يأتيه الموت. ومعناه: أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات، وذلك يدلّ على غاية جلالة أمر العبادة"[(٤)].

٤- الحث على العبادة في أوقات الفراغ من أمور الدعوة وأمور الدنيا:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [الانشراح٧-٨]. أي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١١٧/٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٢.

(٤) تفسير الرازي٢٠٢/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

"إذا تفرغت من أشغالك ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. وأعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك.

تربيته على التعبد والطاعة

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال التي دعا إليها، ولكثرة أنواعها نفرد منها نماذج، وهي:

تربيته على عبادة التفكر

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ ﴾[آل عمران: ١٩١]. "أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودلّ هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق ومشتملة على الحق."[(١)].

ولقد ظهرت هذه العناية من الله تعالى لنبيه ﷺ في أن يسّر له سبل التَفكر والتأمل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد**)[(٢)].

قال السيوطي: "جاء عن بعض المشايخ أنه كان **يتعبد**

(١) تيسير الكريم الرحمن١٦١.

(٢) صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم(٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالتفكر"[١]. وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: "حببت العزلة إليه ﷺ؛ لأن معها فراغ القلب، **وهي معينة على التفكر**، وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه"[٢]. و"قال بعضهم: **إن عبادته ﷺ التفكر والاعتبار**"[٣].

وقال ابن عاشور: "يود أن يجد لنفسه قبس نور يضيء له سبيل الحق؛ مما كان باعثاً له **على التفكر** والخلوة والالتجاء إلى الله، فكان يتحنث في غار حراء"[٤].

"كانت هذه الخلوة التي حببت إلى نفس النبي ﷺ لوناً من الإعداد الخاص من الله تعالى لنبيه، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية، إلى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده ﷺ قبل النبوة بالتفكر في بديع ملكوت السماوات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه"[٥].

وهذه الخلوة مهمة لكل مسلم سواء كان حاكماً أو عالماً، أو قائداً، أو تاجراً؛ لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، وتصحيح الواقع على ضوء الكتاب والسنة.

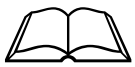

(١) الديباج في شرح صحيح مسلم للسيوطي ١/١٨٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ١/١٨٧.

(٣) روح المعاني٢٥/ ٥٩.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٣.

(٥) محمد رسول الله لمحمد صادق عرجون١/٢٥٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة